

عصمت شريف فانلي خمسين عاماً من النضال الدؤوب

أيوب بارزاني. 2008/9/20

في شهر نوفمبر القادم من هذا العام 2008، يكون عصمت قد بلغ 84 عاماً. يقول مبتسماً، أشعر بأنني بصحة جيدة، لكن لا أحد يعرف متى تكون نهاية حياته....

حاول نظام صدام حسين إغتياله في شفته في لوزان صيف 1976، يقول ضاحكاً: "إن رأسي أكثر صلابة من رصاصات البعث". ويعني بذلك أن عملية الإغتيال التي قام بها عميل النظام البعثي في 7/10/1976، فشلت في وضع نهاية لحياته، حيث أطلق على رأسه طلقتين وأصابته فخرّ مغمياً عليه في شفته في لوزان، إلا أن جاء البوليس السويسري ليجدوه فاقد الوعي، متخبطاً بدمه ونقل الى المستشفى وبقي فيها لعدة أيام في ردهة العناية المكثفة وهو بين الحياة والموت. تشاء الأقدار أن ينجو من هذه المحاولة البعثية. لقد زادت محاولته الإغتيال صلابة وعزماً في النضال من أجل الحقوق الكردية.

ومن قبل كان النظام البعثي في دمشق قد حكم عليه بالإعدام غيابياً في 3 تموز عام 1965. ويقول متسائلاً: لماذا حكم عليّ بالإعدام؟ التهمة الرسمية الموجهة له: "إنّ عصمت عمل في المحافل الدولية ضد مصلحة الأمة العربية"، ويردّ عصمت: "في الواقع لم أعمل غير الدفاع عن حقوق الشعب الكردي المظلوم. إضافة لا أحمل أي إحترام للدكتاتوريات."

نحيف الجسم وبصحة جيدة، ودود بطبعه ومؤدب للغاية، هادىء، يحترم أصدقائه ومعارفه وضيوفه ومتواضع في تعامله مع الناس على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والثقافية. حادّ الذهن ودقيق في اختيار الكلمات التي يريد من خلالها التعبير عن آرائه وباللغات الفرنسية والعربية والإنكليزية، واسع الثقافة وملم بالقضايا السياسية المعاصرة، القضية الكردية هي القضية المركزية في حياته كلها. شخصية مستقلة بالفطرة، لا يقبل المساومة في ما هو حق للأمة الكردية، ولا يمتلق كما هو شائع في أوساط المثقفين الكرد لأصحاب النفوذ أو للسلطة السياسية. يقول صراحة ما يؤمن به من حلول لكردستان المحتلة والمجزأة.

ونظراً لثقافته الغربية، لا يقبل أن يسجن نضاله في إطار حزب معين وفي جزء محدد من كردستان، خاصة أن الأحزاب الكردية هي الى حد بعيد تقتصر نضالها على ذلك الجزء من كردستان الذي نشأت فيه، وحتى في هذا الجزء الصغير تنتاحر فيما بينها ولا مكان فيه للرأى الحرّ اللائحبي. في حين هو إنخرط في النضال الكردستاني مع جميع حركات الكرد التحررية، سواء في جنوب، شرق، شمال أو شمال غربي كردستان دون تمييز.

وعلى عكس زعماء الأحزاب الكردية، الذين أعتنوا بالعمل السياسي وأمسيت السياسة بمثابة مهنة لجمع الثروات الطائلة، نرى عصمت بعيداً عن هذه الصفة القذرة والمنقشية في كردستان الجنوب... لقد أعطى ولم يأخذ شيئاً.... أثناء تعامله معه والتي تعود الى عام 1978، لم أشهد تصرفاً منه يدل على حياة البذخ والترف، إنه الآن يعيش على الراتب الذي يتقاضاه هو وعقيلته (كارمين) من تقاعدهما. ومع أن دوره كان مؤثراً وإيجابياً بالأخص على مجمل الحركة الكردية المسلحة في جنوب وشمال كردستان، فإن القيادة الكردية أهملته تماماً، هنا نحن أمام قضية جد حساسة، فعندما لاتقدراًمة من الأمم أولئك المناضلين الحقيقيين الذي أعطوا مايملكون من قدرات الى القضية القومية بسخاء، يعني أن هناك خلل أخلاقي وقومي في المجتمع وبالأخص ضمن القيادات الحالية، ويدل على جوهر هذه القيادات وماهيتها الحقيقية. إن هذا ليس فقط مخجل، بل يبعث على الإشمزاز.

إن قلقه الآن هو حول مصير مكتبته الغنية (حوالي 3500 كتاب عن حضارات الشرق القديمة و عصور ما قبل التاريخ وعن حضارات الرومان واليونان، وعن المعاهدات الدولية وكتب القانون وباللغات الفرنسية والعربية والإنكليزية والروسية والكردية... الخ) وفيها من الوثائق والأرشيفات والمذكرات التي قدمها لرؤساء الدول عن القضية الكردية ومخطوطات لم تطبع بعد.

حاول عصمت أولاً الاتصال بجامعة لوزان، لكن طريقتهم في حفظ الكتب والأرشيفات لم تحظى برضاه.

وتم فاتحت بتوصية منه، عدد من أساتذة الجامعات الكردية، البعض لم يرد بجواب رغم الوعود التي قطعوها. وأساتذة آخرين فضلوا أن تنقل المكتبة الى الجامعة التي يدرسون فيها. لكن الأستاذ عبدالرقيب يوسف، وهو باحث ومؤرخ قدير، من كرد الشمال، يعيش في مدينة السليمانية وعلى علم بما يجري في المحيط الكردي، وجه رسالة الى عصمت ينصحه فيها بالتخلي عن فكرة نقلها الى كردستان في الطرف الحالي لأنها ستضيع، تتلف أو تسرق. وكان هذا الأخير قد قابل عصمت وزارا عام 1993 معاً موقع (جه رمو) التاريخي القديم في المحافظة الكردية كركوك، حيث بداية ولادة الزراعة وتربية الحيوانات قبل حوالي 10000 عام. وقد ذكر لى الاستاذ عبدالرقيب: "حبذا لو تمكنت من نقل مكتبتي الى موقع في سويسرا، ليضيفها الى مكتبة عصمت". فكرة الأستاذ عبدالرقيب يوسف كانت مع الحفاظ على تراث فانلي في سويسرا. وقد رحب فانلي بالفكرة.

وفاتحني فانلى في تأسيس (مركز عصمت شريف فانلى لتراث حضارة كردستان) يؤسس في سويسرا، ويتمتع بقابلية التطوير ليشمل كل مايتعلق بحضارة كردستان من كتب ودراسات. لكن ذلك يقتضي تمويلاً من حيث شراء أو إيجار دار كبيرة وموظفين يقومون بإدارة المؤسسة. هذا المشروع لايزال مفتوحاً وممكناً لو قامت الجهات الرسمية المسؤولة في كردستان بتمويل هذا المشروع الحضاري.

والمهم هو أن تكون المؤسسة غير حزبية، فهي لجميع الأكراد وللأجانب الذين يريدون القيام بأبحاث في تاريخ وحضارة كردستان منذ أقدم العصور الى يومنا هذا.